تَدْبِيرُ الأَوْقَاتِ فِي العُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ البَيَانَ، وَأَمَرَهُ بِحِفْظِ الأَوْقَاتِ وَالأَزْمَانِ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ الأَعْمَارَ بِمَقَادِيرَ مَعْلُومَةٍ، وَجَعَلَ الأَنْفَاسَ خَزَائِنَ مَحْفُوظَةً مَحْسُوبَةً، لَا تَزِيدُ نَفَساً وَلَا تَنْقُصُ حَبَّةَ خَرْدَلَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَلِكُ المُلُوكِ، وَعَالِمُ الغُيُوبِ، وَمُقَلِّبُ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، المَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأُسْوَةً لِلْعَابِدِينَ المُرَابِطِينَ، الَّذِي عَلَّمَ الأُمَّةَ أَنَّ الدَّقِيقَةَ مِنَ العُمْرِ كَنْزٌ لَا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحَابَتِهِ الأَخْيَارِ المَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

خُطْبَتُنَا بِعُنْوَانِ: **تَدْبِيرُ الأَوْقَاتِ فِي العُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ**

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا المؤْمِنُونَ، أَيُّهَا الأَخْيَارُ، أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي أَوَّلاً بِتَقْوَى اللَّهِ العَلِيِّ القَدِيرِ، فَهِيَ حِصْنُ المؤْمِنِ الحَصِينُ، وَمَلَاذُهُ فِي كُلِّ حِينٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّنَا نَقِفُ اليَوْمَ مَوْقِفاً مَهُولاً يَتَطَلَّبُ صَحْوَةً قَلْبِيَّةً، وَنَقْداً ذَاتِيّاً قَبْلَ أَنْ نَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَيَسْأَلَنَا عَنِ الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ.

هَا هِيَ شَمْسُ الصَّيْفِ قَدْ أَشْرَقَتْ، وَهَا هِيَ العُطْلَةُ الصَّيْفِيَّةُ قَدْ أَقْبَلَتْ، فَمَاذَا أَعْدَدْنَا لَهَا، وَكَيْفَ سَنَسْتَقْبِلُ خَزَائِنَهَا، إِنَّ الصَّيْفَ فِي مَفْهُومِ الكَثِيرِينَ بَاتَ مُرَادِفاً لِلْغَفْلَةِ وَالضَّيَاعِ، وَالانْفِلَاتِ السُّلُوكِيِّ، وَكَأَنَّ أَحْكَامَ الدِّينِ تَتَوَقَّفُ مَعَ نِهَايَةِ العَامِ الدِّرَاسِيِّ، وَكَأَنَّ مُرَاقَبَةَ رَبِّ العَالَمِينَ لِعِبَادِهِ تَجِفُّ مَعَ جَفَافِ الأَرْضِ فِي الصَّيْفِ، وَهَذَا وَاللَّهِ لَهُوَ الوَهْمُ الكَبِيرُ وَالخُسْرَانُ المبِينُ.

> ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: 77]

إِنَّهَا آيَةٌ تَهْتَزُّ لَهَا النُّفُوسُ، فَهِيَ لَا تَحْرِمُكَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا تَمْنَعُكَ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ النَّعِيمِ، فَالْمُؤْمِنُ المَوْصُولُ بِرَبِّهِ يَرَى فِي جَمَالِ الطَّبِيعَةِ، وَفِي زُرْقَةِ البِحَارِ، وَفِي جَلَالِ الجِبَالِ، آيَاتٍ تَدْعُوهُ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، فَيَتَحَوَّلُ الِاسْتِجْمَامُ عِنْدَهُ إِلَى عِبَادَةٍ قَلْبِيَّةٍ خَاشِعَةٍ.

وَلَكِنْ أَيْنَ نَحْنُ اليَوْمَ مِنْ هَذَا المِنْهَاجِ الرَّاشِدِ؟ انْظُرُوا إِلَى بُيُوتِ المسْلِمِينَ فِي الصَّيْفِ، كَيْفَ تَحَوَّلَتْ إِلَى مَقَابِرَ لِلْوَقْتِ، نَرَى فِيهَا فَوْضَى عَارِمَةً تَهُزُّ كِيَانَ الأُسْرَةِ، لَيْلٌ مَمْدُودٌ بِالسَّهَرِ القَاتِلِ أَمَامَ شَاشَاتِ الهَوَاتِفِ وَمَوَاقِعِ التَّفَاهَةِ، حَتَّى إِذَا أَذَّنَ المؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الفَجْرِ، وَتَنَزَّلَتْ رَحَمَاتُ اللَّهِ عَلَى السَّاجِدِينَ، غَطَّ الجَمِيعُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، فَتَضِيعُ الفَرَائِضُ، وَتُهْتَكُ الحُرُمَاتُ، وَتَقْسُو القُلُوبُ، وَتُرْفَعُ البَرَكَةُ عَنِ البُيُوتِ.

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ» (رواه البخاري)

إِنَّ الغَبْنَ الحَقِيقِيَّ هُوَ أَنْ تَبِيعَ الآخِرَةَ البَاقِيَةَ بِالدُّنْيَا الفَانِيَةِ، وَأَنْ تُبَدِّدَ سَاعَاتِ عُمْرِكَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِكَ فِي لَهْوٍ وَعَبَثٍ، وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالحَقِّ شَغَلَتْكَ بِالبَاطِلِ.

أَيُّهَا المؤْمِنُونَ، إِنَّ الخُرُوجَ مِنْ هَذَا التِّيهِ الصَّيْفِيِّ يَتَطَلَّبُ مِنَّا بِنَاءَ مَشْرُوعٍ تَنْفِيذِيٍّ وَاضِحٍ دَاخِلَ كُلِّ بَيْتٍ، بِرْنَامَجٍ عَمَلِيٍّ بَسِيطٍ فِي ظَاهِرِهِ، قَوِيٍّ فِي أَثَرِهِ، يَجْمَعُ بَيْنَ الِاسْتِخْلَافِ الحَقِيقِيِّ فِي الأَرْضِ وَبَيْنَ تَدْبِيرِ الزَّمَانِ، وَهَذَا البِرْنَامَجُ يَقُومُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ عَمَلِيَّةٍ:

المِحْوَرُ الأَوَّلُ: المِحْوَرُ الرُّوحِيُّ التَّعَبُّدِيُّ، حَيْثُ نَجْعَلُ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ نَصِيباً ثَابِتاً كُلَّ يَوْمٍ، فَلَا يَمْضِي يَوْمٌ دُونَ أَنْ يَجْلِسَ الأَبْنَاءُ بَعْدَ الفَجْرِ أَوْ بَعْدَ العَصْرِ لِقِرَاءَةِ وِرْدٍ مُحَدَّدٍ.

المِحْوَرُ الثَّانِي: التَّمْكِينُ المَهَارِيُّ عَبرَ وَرَشَاتِ عَمَلٍ حَقِيقِيَّةٍ، فَلْنَدْفَعْ بِأَبْنَائِنَا إِلَى وَرَشَاتِ تَعَلُّمِ اللُّغَاتِ، وَالحَاسُوبِ وَالبَرْمَجَةِ، وَتُعَلِّمْهُمْ مَهَارَاتٍ تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالنَّفْعِ.

المِحْوَرُ الثَّالِثُ: التَّنْشِيطُ الثَّقَافِيُّ وَالبَدَنِيُّ، بِأَنْ نَخْتَارَ كِتَاباً نَافِعاً فِي السِّيرَةِ أَوِ الأَخْلَاقِ، وَنَعْقِدُ جَلَسَاتٍ نِقَاشِيَّةً وَمُسَابَقَاتٍ مَعْرِفِيَّةً، مَعَ مُمَارَسَةِ الرِّيَاضَةِ البَدَنِيَّةِ الَّتِي تَقْوِي الأَجْسَادَ.

«المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ» (رواه مسلم)

لِنَسْتَمِعْ بِقُلُوبِنَا إِلَى هَذِهِ القِصَّةِ العَظِيمَةِ الَّتِي تَرْوِي حِرْصَ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ، حَيْثُ يُرْوَى عَنِ الإِمَامِ ابْنِ عَقِيلٍ الحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنِّي لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أُضَيِّعَ سَاعَةً مِنْ عُمْرِي، حَتَّى إِذَا تَعَطَّلَ لِسَانِي عَنْ مُذَاكَرَةٍ وَمُنَاظَرَةٍ، وَبَصَرِي عَنْ مُطَالَعَةٍ، أَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي حَالِ رَاحَتِي، فَلَا أَقُومُ إِلَّا وَقَدْ خَطَرَ لِي مَا أُسَطِّرُهُ».

اللَّهُ أَكْبَرُ، ثَمَانُونَ سَنَةً وَيَبْكِي عَلَى السَّاعَةِ أَنْ تَضِيعَ، فَمَا بَالُ شَبَابِنَا يَنْتَظِرُونَ الصَّيْفَ لِيَقْتُلُوا الوَقْتَ فِي التَّوَاهِفِ، وَالوَقْتُ هُوَ أَثْمَنُ مَا يَمْلِكُونَ.

أَيُّهَا الأَحْبَابُ، وَنَحْنُ نَعِيشُ هَذِهِ العُطْلَةَ الرَّغِيدَةَ فِي بُيُوتِنَا، نَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِ اللَّهِ، نَجِدُ الأَمْنَ وَالأَمَانَ، وَنَشْرَبُ المَاءَ البَارِدَ، وَنَلْتَحِفُ الفِرَاشَ الوَفِيرَ، كَيْفَ لِقُلُوبِنَا أَنْ تَغْفَلَ عَنْ جِرَاحِ أُمَّتِنَا الغَائِرَةِ؟

«مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى» (رواه مسلم)

فَلَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فِي شَيْءٍ أَنْ نَعِيشَ بِمَعْزِلٍ عَنْ مَآسِيهِمْ، وَلَا أَنْ تَكُونَ عُطْلَتُنَا مَحَطَّةً لِنِسْيَانِهِمْ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَرْبِطَ حَيَاتَنَا بِحَيَاتِهِمْ، وَأَنْ نَجْعَلَ مِنْ صَيْفِنَا مَشْرُوعاً لِنُصْرَتِهِمْ.

إِنَّ التَّضَامُنَ مَعَ غَزَّةَ وَلُبْنَانَ فِي هَذِهِ العُطْلَةِ لَيْسَ شِعَاراً برَّاقاً، بَلْ هُوَ وَعْيٌ رَسَالِيٌّ يُبْنَى فِي عُقُولِ الأَبْنَاءِ، وَعَمَلٌ تَنْفِيذِيٌّ يُقَدَّمُ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ.

> ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: 4]

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَاجْعَلُوا مِنْ هَذَا الصَّيْفِ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ حَقِيقِيَّةً فِي حَيَاتِكُمْ وَحَيَاةِ أُسَرِكُمْ، نَجْمَعُ فِيهَا بَيْنَ التَّرْوِيحِ المُبَاحِ وَالتَّمَتُّعِ بِالنِّعَمِ، وَبَيْنَ العَمَلِ التَّطْبِيقِيِّ البَانِي وَالنُّصْرَةِ الصَّادِقَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ